الفصل السادس

ضبط عين المضارع

من الماضي الثلاثي المجرد المفتوح العين:

نظرة جديدة في ضوء القراءات القرآنية

الفصـــل السادس

ضبـط عين المضارع
من الماضي الثلاثي المجرد المفتوح العين:
نظرة جديدة في ضوء القراءات القرآنية *

من أكثر الأخطاء الصرفية الشائعة في لغة المثقفين ضبط عيـن الفعـل الثلاثـي المجرد ضبطا صحيحا. وإذا كانت بعض المشكلات الصرفية لا تظـهر إلا فـي الكتابـة مما يعطي الكاتب فرصة المراجعة واستشارة أهل العلم، فإن ضبط عيـن هـذا الفعـل لا تظهر إلا في النطق، حيث لا فرصة أمام المتكلم ليتوقف عن الكلام حتـى يتحقـق مـن صحة الضبط.

وتحوي هذه المسألة من التشعيبات والتعقيدات ما جعل بعض البـاحثين يعتـبر ضبط عين الفعل الثلاثي المجرد كمينا منصوبا، ومظنة زلل مؤرقة، وقد ترتب على ذلك طائفة من وجوه الضبط الخاطئة التي صارت من أخطائنا اللغوية الشائعة[1].

وقد سبق في الدورتين السابعة والأربعيـن والثامنـة والأربعيـن لمجمـــع اللغـة العربية (٨٠-١٩٨٢) أن تقدمت لجنة الأصول بدراسة للقضية[2] اقتصرت فيها على النقل عن أئمة العربية في العصور الماضية، وانتهـــت إلى جواز الانتقال من فتـح العيـن فـي

---

* لم يسبق نشره.

(١) نهاد الموسى: في تاريخ العربية ص ٢٧.

(٢) هناك آراء ومذكرات متبادلة حول الموضوع ألحقناهما بالبحث.

في الماضي إلى الضم أو الكسر في المضارع، واشترطت ألا يستخدم الترخيص إلا حين لا يكون هناك نص صريح على باب الفعل، وألا يستخدم في تحرير المعاجم.

وشعّبت المذكرات المتعلقة بالموضوع جوانب القضية، لأنها أدخلت في الدراسة السالم والمضعف والمثال والأجوف والناقص، كما أنها اتخذت التعدي واللزوم أساسا للإلزام بالاتجاه نحو الكسر أو الضم، ولم تتخذه أساسا للترجيح فقط.

أما الدراسة التي أقدمها الآن فقد اقتصرت على الصحيح فقط من الأفعال لأن كلاً من الأجوف والناقص قد حمى نفسه بوجود الياء أو الواو فيه، كما اتخذت التعدي واللزوم أساسا للترجيح وليس للإلزام. وأهم من هذا وذاك أنها اعتمدت على الاستعمال الواقعي سواء بورُوده في النص القرآني أو في القراءات التي قرئ بها. كما أنها استمدت أمثلتها من لغة المتحدثين بالفصحى في العصر الحديث.

والهدف من هذه الدراسة الخروج من خلال الاستقراء شبه التام لأمثلة هذا النوع من الأفعال في القراءات القرآنية – الخروج بقاعدة مطردة تسعف المتحدث حين يغمض عليه وجه الضبط، بدلا من ترك قول القدماء: إن مردّ هذا الضبط إلى السماع – سيفا مصلتا على رقبته.

وأبدأ بتقديم أمثلة مما التقطته من لغة المذيعين والمتحدثين بالفصحى، وهي أمثلة تكفي لبيان مدى الخلط والاضطراب الذي يتعرضون له:

١- حفَر يحفُر ، والصواب من باب ضرب.

٢- حفَل يحفُل ، والصواب من باب ضرب.

٣- حلَم يحلِم ، والصواب من باب نصر.

٤- رجَف يرجِف ، والصواب من باب نصر.

٥- سفَك يسفُك ، والصواب من باب ضرب.

٦- دعَم يدعُم ، والصواب من باب فتح.

٧- رهَن يرهِن ، والصواب من باب فتح.

٨- سنَح يسنُح ، والصواب من باب فتح.

٩- لحَن يلحِن ، والصواب من باب فتح.

١٠- هَرَب يهرَب ، والصواب من باب نصر.

١١- وآخر ما سمعته ما جاء في برنامج "حديث الروح" التليفزيوني بمناسبة موسم الحج لعام ١٤٢٠هـ: لنرجِمْ هذا الشيطان ، والصواب من باب نصر[١].

ولم يقتصر خطأ المثقفين على اختيار حركة الضبط، بل تجاوزه ليوقعهم في الاختلاف، والانتقال بين الكسر والضم دون وعي. ومن أمثلة الأفعال التي اختلفوا في نطقها:

١- قلبه مازال ينبِض، ينبُض.

٢- يرسُم ، يرسِم.

٣- يهدُف ، يهدِف.

٤- تحرُسه عناية الله ، تحرِسه.

٥- يسجِنه في بيته ، يسجُنه.

٦- يغلُب عليه كذا ، يغلِب.

٧- لابد أن يلفُظه المجتمع ، يلفِظه.

٨- لا نملُك دليلا على ذلك، لا نملِك.

---

(١) كان مرجعنا في تحديد الضبط معجمي: ديوان الأدب للفارابي، والقاموس المحيط للفيروزابادي.

٩- ينبُذ العنف ، ينبِذ.

١٠- كل من ينشُد خدمة الوطن، ينشِد.

١١- تهدُم أربعة منازل ، تهدِم.

١٢- تنقُلها وسائل الإعلام ، تنقِلها.

١٣- وما يعقُبه من استخدام القوة ، وما يعقِبه.

١٤- يرجُف ، يرجِف.

١٥- يقطُف ، يقطِف.

١٦- يكتُم ، يكتِم.

والملاحظ أن معظم الأخطاء، أو الاضطراب في الضبط قد جاء نتيجة الخلط بين بابي ضَرَب ونَصَر، وبعضها جاء نتيجة الخطأ في باب فَعَل يفعَل.

وإذا كان الخطأ في الباب الأخير يسهل تقويمه من خلال قاعدة حرف الحلق التي تطرد في كل الأفعال التي جاءت من باب فَعَل يَفْعَل، وهي ضرورة أن تشتمل على أحد حروف الحلق الستة (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء) في موضع العين أو اللام[1]، فإن الخطأ في بابي ضرب ونصر ليس هناك من سبيل إلى تقويمه – لو التزمنا برأي القدماء – إلا من خلال السماع الصحيح، والرجوع إلى المعاجم.

ويلفت نظر الدارس للقراءات القرآنية شيوع التبادل فيها بين بابي ضرب ونصر، ويشمل ذلك العديد من القراءات السبعية والعشرية والشاذة.

---

(١) يجب أن نتنبه إلى عدم صحة العكس، بمعنى أنه ليس ضروريا أن يكون كل فعل حلقي العين أو اللام من باب فعَل يفعَل.

فمما جاء من القراءات السبعية:

١- (بطش): قرأ نافع قوله تعالى: أم لهم أيد يبْطِشون بها (الأعراف ١٩٥): بضم الطاء في يبطشون[١].

٢- (طمث): قرأ الكسائي قوله تعالى: لم يطمِثْهن إنس قبلهم ولا جان (الرحمن ٥٦): بضم الميم في يطمثهن[٢].

٣- (عتل): قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو عمرو قوله تعالى: خذوه فاعتِلوه إلى سواء الجحيم (الدخان ٤٧): بضم التاء[٣].

٤- (عرش): قرأ عاصم وابن عامر قوله تعالى: وما كانوا يعرِشون (الأعراف ١٣٧): بضم الراء[٤].

٥- (عزب): قرأ الكسائي قوله تعالى: ومايعزُب عن ربك من مثقال ذرة (يونس ٦١): بكسر الزاي[٥].

٦- (عكف): قرأ حمزة والكسائي وأبو عمرو قوله تعالى: فأتوا على قوم يعكُفون على أصنام لهم (الأعراف ١٣٨): بكسر الكاف[٦].

---

(١) معجم القراءات القرآنية ٢/٢٤٦.

(٢) السابق ٥/٣٢.

(٣)السابق ٤/٣٨٢.

(٤) السابق ٢/٢١٢.

(٥) السابق ٢/٣٥٨.

(٦) السابق ٢/٢١٣.

٧- (قتر): قرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى: والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتُروا (الفرقان ٦٧): بكسر القاف[١].

٨- (لمز): قرأ ابن كثير وأبو عمرو قوله تعالى: ومنهم من يلمزك في الصدقات (التوبة ٥٨): بضم الميم[٢].

٩- (نشز): قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي قوله تعالى: وإذا قيل انشُزوا فانشُزوا (المجادلة ١١): بكسر الشين في الفعلين[٣].

ومما قرئ بالوجهين كذلك في غير السبعة:

١- (أسر): قرأ أبو حيوة قوله تعالى: فريقا تقتلون وتأسِرون فريقا (الأحزاب ٢٦): بضم السين[٤].

٢- (حسد): قرأ عيسى بن سليمان قوله تعالى: أم يحسُدون الناس على ما آتاهم الله (النساء ٥٤): بكسر السين[٥].

٣- (حشر): قرأ الأعرج في كل القرآن، ومنه قوله تعالى: ويوم يحشُرهم وما يعبدون من دون الله (الفرقان ١٧): بكسر الشين[٦].

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٤١٤/٣.

(٢) السابق ٣٠٣/٢.

(٣) السابق ٨٠/٥.

(٤)السايق ٨٦/٤.

(٥) السابق ٥١٦/١.

(٦)السابق ٣٩٧/٣.

٤- (خرق): قرأ الجراح الأعرابي قوله تعالى: إنك لن تخرِق الأرض (الإسراء ٣٧): بضم الراء[١].

٥- (درس):قرأ أبو حيوة قوله تعالى:ويما كنتم تدرُسون (آل عمران ٧٩): بكسر الراء[٢].

٦- (رشد): قرأ أبو حيوة وإبراهيم بن أبي عبلة قوله تعالى: وليؤمنوا بي لعلهم يرشُدون (البقرة ١٨٦): بكسر الشين[٣].

٧- (سبت): قرأ عاصم والمطوعي وعيسى بن عمر قوله تعالى: ويوم لايسبِتون لا تأتيهم (الأعراف ١٦٣): بضم الباء[٤].

٨- (سبق): قرأ بعضهم قوله تعالى: لا يسبِقونه بالقول (الأنبياء ٢٧): بضم الباء[٥].

٩- (سفك): قرأ أبو حيوة وإبراهيم بن أبي عبلة قوله تعالى: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفِك الدماء (البقرة ٣٠): بضم الفاء[٦].

١٠- (صدف): قرأت فرقة قوله تعالى : بما كانوا يصدِفون (الأنعام ١٥٧): بضم الدال[٧].

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٣/٦٠.

(٢) البحر المحيط ٢/٥٠٦.

(٣) معجم القراءات القرآنية ١/٢٩٠.

(٤) السابق ٢/٢٣٠.

(٥) السابق ٣/٢٥٥.

(٦) السابق ١/١٨٥.

(٧) البحر المحيط ٤/٢٥٨.

١١- (صلب): قرأ حميد المكي وابن محيصن والحسن قوله تعالى: ثم لأصلِّبنَّكم أجمعين (الأعراف ١٢٤): لأَصْلبنَّكم، بكسر اللام وضمها[١].

١٢- (طمس):قرأ أبو رجاء قوله تعالى:من قبل أن نطمِس وجوها (النساء ٤٧): بضم الميم[٢].

١٣- (طهر): قرأ ابو عبد الرحمن المقرئ قوله تعالى: ولا تقربوهن حتى يطهُرن (البقرة ٢٢٢): بكسر الهاء[٣].

١٤- (عرج): قرأ المطوعي والأعمش وأبو حيوة قوله تعالى: فظلوا فيه يعرُجون (الحجر ١٤): بكسر الراء[٤].

١٥- (عزر):قرأ الجحدري قوله تعالى: وتعزّروه وتوقروه (الفتح ٩): وتَعْزِروه، بضم الراء وكسرها[٥].

١٦- (عضل): قرأ نعيم بن ميسرة قوله تعالى: فلا تعضُلوهن أن ينكحن أزواجهن (البقرة ٢٣٢) بكسر الضاد[٦].

١٧- (فرغ): قرأ عيسى قوله تعالى : سنفرُغ لكم أيها الثقلان (الرحمن ٣١): بكسر الراء[٧].

---

(١) معجم القراءات القرآنية ٢/٢٠٧.

(٢) السابق ١/٥١٤.

(٣) السابق ١/٣١٥.

(٤) السابق ٢/٥٢٧.

(٥) السابق ٤/٤٤٢.

(٦) السابق ١/٣٢٠.

(٧) السابق ٥/٢٧.

١٨- (فرق): قرأ عبيد بن عمير ويوسف بن داود قوله تعالى: فافرُق بيننا وبين القوم الفاسقين (المائدة ٢٥): بكسر الراء[١].

١٩- (فسق): قرأ أبو حيوة والأعمش قوله تعالى: بما كانوا يفسُقون (العنكبوت ٣٤): بكسر السين[٢].

٢٠- (كنز): قرأ يحيى بن يعمر وأبو السمال قوله تعالى: والذين يكنِزون الذهب الفضة.. هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنِزون (التوبة ٣٤، ٣٥) بضم النون في الآيتين[٣].

٢١- (نزف): قرأ ابن أبي إسحاق الفعل يُنْزَفون في قوله تعالى : ولا هم عنها يُنْزَفون (الصافات ٤٧) : يَنْزِفون بكسر الزاي، وقرأه طلحة بن مصرف بضم الزاي[٤].

٢٢- (نسف): قرأ عيسى وأبو رجاء قوله تعالى: لنحرّقنه ثم لننسِفَنّه (طه ٩٧): بضم السين[٥].

٢٣- (نسل): قرأ ابن أبي إسحاق وأبو السمال قوله تعالى: وهم من كل حَدَب ينسِلون (الأنبياء ٩٦): بضم السين[٦].

---

(١)معجم القراءات القرآنية ١٨/٢.

(٢)السابق ١٦/٤.

(٣) السابق ٢٩٢/٢، ٢٩٣.

(٤) السابق ٢٠١/٤، ٢٠٢.

(٥) السابق ٢٣٣/٣.

(٦) السابق ٢٧٤/٣.

٢٤- (نعق): قرأ بعض القراء قوله تعالى: كمثل الذي ينعِق بما لا يسمع (البقرة ١٧١): بضم العين[١].

٢٥-(نكث) : قرأ أبو حيوة قوله تعالى : إذا هم ينكُثون (الزخرف ٥٠): بكسر الكاف[٢].

٢٦- (نكص): قرأ على بن أبي طالب وابن مسعود قوله تعالى: فكنتم على أعقابكم تنكِصون (المؤمنون ٦٦): بضم الكاف[٣].

٢٧- (هبط): قرأ محمد بن مُصَفًّى، وأبو حيوة قوله تعالى : وقلنا اهبِطوا بعضكم لبعض عدو (البقرة ٣٦): بضم الباء[٤].

وإلى جانب شيوع هذا التبادل - كما رأينا - في الأفعال السالمة[٥] نجده كذلك - ولكن بصورة اقل في الأفعال المضاعفة مثل:

١- (حسّ): قرأ أبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة وأبو جعفر المدني قوله تعالى: هل تُحِسّ منهم من أحد (مريم ٩٨): بفتح التاء وضم الحاء، وقرأها آخرون بفتح التاء وكسر الحاء[٦].

٢- (حلّ): قرأ بعض القراء قوله تعالى: ويحِلّ عليه عذاب مقيم (هود ٣٩): بضم

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٢٧٩/١.

(٢) السابق ٣٥٨/٤.

(٣) السابق ٣٣٧/٣.

(٤) السابق ١٩٢/١.

(٥) وهي الخالية من حروف العلة ومن الهمزة والتضعيف.

(٦) معجم القراءات القرآنية ١٨٤/٣، ١٨٥.

الحاء[١].

٣- (صدّ): قرأ جمهور من القراء على رأسهم نافع وابن عامر والكسائي وعاصم وأبو جعفر وخلف والحسن والأعمش وغيرهم - قوله تعالى: إذا قومك منه يصِدّون (الزخرف ٥٧): بضم الصاد[٢].

٤- (ضرّ): قرأ المطوعي قوله تعالى: فلن يضرّ الله شيئا (آل عمران ١٤٤): بكسر الضاد[٣].

٥- (هشّ): قرأ النخعي وأبو البرهسم قوله تعالى: وأهُشّ بها على غنمي (طه ١٨): بكسر الهاء[٤].

وليس التبادل بين الكسر والضم مقصوراً على الأفعال ، بل انعكس كذلك في أسماء الزمان والمكان التي وقع التبادل فيها في القرآن بين صيغتي "مَفْعَل"، و"مَفْعِل"[٥]، مما يمكن تفسيره على أنه من باب التبادل بين الكسر والضم في المضارع.

ومن أمثلة هذا التبادل في القراءات السبعية:

١- (سكن): قرأ الكسائي قوله تعالى: لقد كان لسبأ في مَسْكَنِهِمْ آية جنتان (سبأ ١٥):

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٣٨٦/٢.

(٢) السابق ٣٦١/٤.

(٣) السابق ٤٤٤/١.

(٤) السابق ١٩٨/٣.

(٥) يأتيان على مَفْعِل إذا كانت عين المضارع مكسورة، وعلى مَفْعَل إذا كانت مفتوحة أو مضمومة.

بكسر الكاف[١].

٢- (طلع): قرأ الكسائي قوله تعالى: سلام هي حتى مَطْلَع الفجر (القدر ٥): بكسر اللام[٢].

٣- (نسك): قرأ الكسائي وحمزة قوله تعالى: ولكل أمة جعلنا مَنْسَكا (الحج ٣٤): بكسر السين[٣].

ومن أمثلته في القراءات الشاذة:

١- (جمع): قرأ الضحاك وعبد الله بن مسلم قوله تعالى: حتى أبلغ مجمع البحرين (الكهف ٦٠): بكسر الميم الثانية[٤] (لاحظ أنه من التبادل بين بابي: فَعَل يفعَل، ويفعِل).

٢- (صرف): قرأ زيد بن علي قوله تعالى: ولم يجدوا عنها مصرِفا (الكهف ٥٣): بفتح الراء[٥].

٣- (طلع): قرأ ابن كثير- في رواية – وابن محيصن والحسن وعيسى ومجاهد قوله تعالى: حتى إذا بلغ مطلع الشمس (الكهف ٩٠): بفتح اللام[٦].

٤- (فرّ): قرأ الحسن وابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن بن زيد وقتادة وعيسى وابن

---

(١) معجم القراءات القرآنية ١١٧/٤.

(٢) السابق ٤٤٣/٥.

(٣) السابق ٣٠٠/٣.

(٤) السابق ١١٧/٣.

(٥) السابق ١١٤/٣.

(٦) السابق ١٣٢/٣.

أبي إسحاق وغيرهم – قوله تعالى: يقول الإنسان يومئذ أين المَفَرّ (القيامة ١٠): بكسر الفاء[١].

بل أكثر من هذا جاء النص القرآني في عدد من الآيات على خلاف القاعدة، مما يعني وجود تبادل بين البابين، كقوله تعالى: فولِّ وجهك شطر المسجدِ الحرام (البقرة ١٤٤)؛ مع أن فعله يسجُد – بضم الجيم – ولم ينقل عن أحد من القراء فتحها طبقًا للقاعدة. وكقوله تعالى: ولله المشرق والمغرِب (البقرة ١١٥)، مع أن فعله يغرب – بضم الراء – ولم ينقل الفتح عن أحد من القراء.

وإذا كان مجموع ما ورد من البابين مما قرئ به خمسين فعلا ، فهناك قائمة أخرى طويلة من الأفعال ذكرها ابن دريد في الجمهرة[٢]، منها: يحشد، وينفر، ويشتم، ويخلق، ويقدر، ويعرض، ويقنط .. وقد نقلها جميعا عن أبي عبيدة.

وسواء صح ما يقوله الدكتور إبراهيم أنيس من أن الضم لغة بدوية، والكسر لغة حضرية[٣]، أو ما تذكره المراجع من أن الكسر لغة أسد والضم لغة بقية العرب[٤]، أوأن الكسر لغة الحجاز والضم لغة تميم[٥]، فإننا نقترح – من باب التيسير – تعميم الكسر والضم في كل فعل صحيح جاء ماضيه مفتوحَ العين (باستثناء ما كان حلقي العين أو اللام). ويؤيد هذا الاتجاه ما ذكره القدماء من أن ضم عين الفعل وكسرَها في

---

(١)معجم القراءات القرآنية ٢٤٩/٥.

(٢) ١٢٧٤/٣.

(٣) في اللهجات العربية ص ٩١.

(٤) الإتحاف ص ٢٨٩.

(٥) منهج أبي عمرو بن العلاء ص ٦١. ويؤيد هذا ميل الحجازيين إلى الكسر في كلمات أخرى مثل أسوة التي كانوا ينطقونها بكسر الهمزة، وعليها القراءة المعروفة.

في المضارع – إذا كان الماضي مفتوح العين – لغتان فاشيتان مشهورتان[١]، وما نص عليه ابن خالويه من أن "كلُّ فعل انفتحت عين ماضيه جاز كسرها وضمها في المضارع قياسا إلا أن يمنع السماع من ذلك"[٢]وإن كان قوله: "إلا أن يمنع السماع من ذلك" يبطل كونه قياسا. وأدق من عبارة ابن خالويه ما نص عليه الرضي في شرحه على الشافية من أن "قياسَ مضارعِ فَعَل المفتوحِ عينُه إما الضم أو الكسر. وتعدى بعض النحاة، وهو أبو زيد[٣]، هذا، وقال: كلاهما قياس، وليس أحدهما أولى به من الآخر، إلا أنه ربما يكثر أحدهما في عادة ألفاظ الناس حتى يُطرح الآخر. فإن عُرف الاستعمال فذاك، وإلا استعملا معا، وليس على المستعمل شيء[٤]. ويضاف إلى هذا ما قاله الفيروزابادي في مقدمة معجمه "القاموس المحيط" تعقيبا على حديثه عن بابي نصر وضرب: "على أني أذهب إلى ما قاله أبو زيد: إذا جاوزْتَ المشاهير من الأفعال التي يأتي ماضيها على فَعَل فأنت في المستقبل بالخيار: إن شئت قلت: يفعُل بضم العين، وإن شئت قلت يفعِل بكسرها".

ويمكننا – في الوقت نفسه – أن نتخذ التعديَ واللزوم معيارا للترجيح، فنتجه في السالم إلى ضم عين المضارع إذا كان الفعل لازما، وإلى كسرها إذا كان متعديا. يقول ابن جني في الخصائص: "ضرب يضرِب أقيس من قتل يقتُل ... ويفعُل فيما

---

(١) السابق ص ٤٨.

(٢) الحجة ص ١٦٢.

(٣) يقول أبو زيد: طفت سافلة قيس، وعالية تميم فلم أجد أحدا يفصل بين الفعل المضارع المكسور العين والمضمومها، ولم أجد له حصرا، فكل يتكلم على مراده من ضم أو كسر (الجاسوس على القاموس ص ١٨٣).

(٤) ١/١١٧، ١١٨.

ماضيه فَعَل في غير المتعدي أقيس من يفعِل ... وذلك أن يفعُل إنما هي في الأصل لما لا يتعدى، نحو كرُم يكرُم .. فإذا كان كذلك كان أن يكونَ في غير المتعدى فيما ماضيه فَعَل أولى وأقيس"[١] ويقول أبو جعفر النحاس معلقا على القراءتين في "يعزب": "لو جاز أن يقع اختيار في هذا المكان لكان الضم أولى لأنه فِعْلٌ لا يتعدى مثل قعد يقعد؛ لأن الأكثر في كلام العرب فيما لا يتعدى أن يأتي مضموما، وفيما يتعدى أن يأتي مكسورا مثل ضرب يضرب[٢].

ولكن جاء الاختيار على خلاف ذلك في المضاعف، فجاء الضم في المتعدي، والكسر في اللازم. يقول ابن الحاجب في الشافية: "ولزموا الضم في المضاعف المتعدي .. وما كان لازما فإنه يأتي على يفعِل .. إلا ماشذ"[٣]. ويتناول ابن جني القضية بصورة أكثر تفصيلا فيقول: "فإن قيل: فكيف ذلك ونحن نعلم أن يفعُل في المضاعف المتعدي أكثر من يفعِل نحو شدّه يشُدّه، ومدّه يمُدّه، وقَدّه يقُدُّه، وجزّه يجُزُّه، وعزّه يعُزُّه، وأزّه يؤُزُّه، وعمّه يعُمُّه، وأمّه يؤمُّه.. ويفعِل في المضاعف قليل محفوظ، نحو هدّه يهِدُّه، وعلّه يعِلُّه، وأحرف قليلة - قيل: إنما جاز هذا في المضاعف لاعتلاله، والمعتلّ كثيرا ما يأتي مخالفا للصحيح"[٤]. ويقول الفارابي مذيلا باب فَعل يفعِل في المضاعف: " وهذا الباب لا يجيء متعديا إلى مفعول إلا في أحرف متعددة، وهي بته يبِته ويبُته، وعلّه في الشراب يعِلّه ويعُلّه، ونمّ الحدّيث ينِمّه وينُمه، وشدّه يشِدّه ويشُدّه،

---

(١) ٣٧٩/١.

(٢) إعراب القرآن ٣٧٩/٤.

(٣) ١٣٤/١.

(٤) الخصائص ٣٩٧/١، ٣٨٠.

وحبه يَحِبّه .. وهذه وحدها بلغة واحدة، وهي شاذة. وإنما سهّل تعديَ هذه الأحرف إلى مفعول اشتراكُ الضم والكسر فيهن[١].

ويُستثنى من قاعدة المخالفة إلى الضم أو الكسر ما كان حلقي العين أو اللام من الأفعال فهذا يحتفظ بفتح عينه في المضارع كما في الماضي – ما عدا أفعالا قليلة جاءت على أصلها مثل رجع يرجع، وصلَح يصلُح، يقول الفارابي: "فأما المفتوح العين في الماضي والمستقبل فهو لا يقوم إلا أن يكون فيه أحد حروف الحلق في موضع العين أو اللام"[٢].

والخلاصة أننا نقترح صياغة قاعدة على النحو التالي:

١- ما كان مفتوحَ العين في الماضي جاز في مضارعه الضمُّ والكسر، مع ترجيح الكسر في السالِم المتعدي، والمضاعفِ اللازم، وترجيح الضم في السالم اللازم، والمضاعف المتعدي.

٢- تُفتح عين الفعل في كل من الماضي والمضارع إذا وجد في موضع العين أو اللام أحد حروف الحلق.

مع النصح دائما بالتزام ما نقل عن العرب في الأفعال التي لا يختلف المثقفون في نطقها.

---

(١) ديوان الأدب ٣/١٤٥.

(٢) السابق ٢/١٣٨.

مراجع البحث

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر للدمياطي.

٢- إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس.

٣- الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق.

٤- الجمهرة لابن دريد.

٥- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه.

٦- الخصائص لابن جنى.

٧- ديوان الأدب للفارابي.

٨- شرح شافية ابن الحاجب للرضي.

٩- العربية الصحيحة لأحمد مختار عمر.

١٠- في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس.

١١- القاموس المحيط للفيروزابادي.

١٢- معجم القراءات القرآنية لأحمد مختار عمر وعبد العال سالم.

١٣- منهج أبي عمرو بن العلاء لمحمود عثمان أبو سمرة.

مرفقات البحث

١- بحث للمرحوم الأستاذ محمد شوقي أمين عن ضبط عين المضارع من ماضي الثلاثي المفتوح العين.

٢- قرار لجنة الأصول بمجمع اللغة العربية بالقاهرة.

في تصريف الأفعال

ضبط عين المضارع من ماضي الثلاثي المفتوح العين

بحث، بقلم: محمد شوقي أمين

عضو المجمع

١- الفعل الثلاثي المجرد كثير الأبواب، فإن عين ماضيه أو مضارعه نهب للحركات الثلاث، ومن ثم كان الضبط له غير ميسور، واللحن فيه غير مأمون. وكان التدبير معه اللياذ بالمعجمات للتثبت والاستيثاق.

وما بنا أن نقتحم العقبة بوثبة، فحسبنا هذه العجالة أن نعالج جانبا منها، هو باب فَعَل المفتوح العين، وليس من شك في أنه أكثر الأبواب عدد ألفاظ.

٢- وعلى وفرة ما أفاض فيه النحاة في هذا الباب، أرى أن "الخضري" قد أوجز ضوابطه وأحكمها في قوله: "فعل المفتوح العين قياس مضارعه يفعِل بالكسر كَضَرب يَضْرِب أو الضم كنصر ينصُر، فيخير بينهما، إذا لم يشتهر أحدهما، وشذّ الفتح في أبى يأبى وسلى يسلى. إلا إذا كان حلقي العين أو اللام، فقياسه الفتح كسأل يسأل، ومنع يمنع. ويتعين الكسر في يائي أحدهما كباع يبيع ورمى يرمي، والضم في واويه كقال يقول ودعا يدعو".

٣- وبالرجوع إلى المظان النحوية المبسوطة، يتبين لنا أن "أبا زيد" بين متقدمي النحاة، - وهو من لقّبه "سيبويه" بالثقة، هداه التقصي إلى أن يجهر بقوله: "طفت في عليا قيس وتميم مدة طويلة أسأل عن هذا الباب، صغيرهم وكبيرهم، لأعرف ما كان منه بالضم أولى وما كان منه بالكسر، فلم أعرف لذلك قياسا، وإنما يتكلم به كل امرئ على ما يستحسن وما يستخف، لا على غير ذلك".

ولم يجترئ "أبو زيد" بهذا الإخبار الذي كان ثمرة تقصِّيه، بل أصدر حكما في قوله: إذا جاوزت المشاهير من الأفعال نحو دخل وضرب، وما أشبه ذلك من مشهور الكلام، فقل إن شئت يفعِل وان شئت يفعُل، إلا ما كانت عينه أو لامه من حروف الحلق فإنه يأتي على فعل يفعَل، وربما جاء على يفعُل ويفعِل".

٤- ولم ينفرد "أبو زيد" بهذه المقالة، فقد حكى عن محمد بن يزيد المبرد، وأحمد بن يحيى ثعلب أنه يجوز الوجهان في مستقبل فعل في جميع الباب. ونقل عن "أبي علي الفارسي" قوله: "هذان المثالان - يعنى يفعُل ويفعِل - جاريان على السواء في الغلبة والكثرة".

وكان "أبو الحسن الأخفش" يرى أن يفعِل بالكسر أغلب من يفعُل بالضم، فعقب عليه "الفارسي" بأن ذلك ظن منه، إنما توهم ذلك من أجل الخفة، فحكم بأن يفعِل أكثر من يفعُل، ولا سبيل إلى حصر ذلك، ليعلم أيهما أكثر وأغلب، غير أننا وجدنا الكسر أفصح للخفة. ويقول "ابن سيده": "وأما فعل فمستقبله يجيء على يفعُل ويفعِل، ويكثران فيه، حتى قال بعض النحويين إنه ليس أحدهما أولى به من الآخر، فإنه ربما يكثر أحدهما في عادة ألفاظ الناس حتى يطرح الآخر ويقبح استعماله". وبعد أن أورد "ابن سيده" جملة من الأفعال، قال: "وأشباه هذا في الكلام كثير جدا، ولكنني ذكرت منه عامة ليدلك على أن المثالين يكثران في هذا الباب، وجعلت لك تعاقبهما على الكلمة الواحدة دليلا على كثرتهما واشتراكهما في هذا البناء".

تلك أقوال متقدمي النحاة في هذا الباب، وقد اعتمدها متأخروهم، فتناقلوها منسوبة أو غير منسوبة، مبسوطة أو مجملة، في شرح الشافية وشرح المفصل وغيرهما من الشروح والحواشي.

٥- بقي في باب فعل ما كانت عينه أو لامه حرف حلق، فقد تواردت أقوال النحاة على أن المضارع منه على يفعَل بفتح العين، وعللوا ذلك بأن العرب إنما فتحوا هذه الحروف لأنها سفلت في الحلق، فكرهوا أن يتناولوا حركة ما قبلها بحركة ما ارتفع من الحروف فجعلوا حركتها من الحرف الذي في حيِّزها، وهو الألف، فإذا كانت حروف الحلق عينات أو لامات ثقل عليهم الضم والكسر، وإن فتحوا فالفتحة من الحلق، على أنهم يكررون التعبير بأن ذلك **جاء على غير الأصل**، الذي هو الضم أو الكسر. حتى إن "ابن سيده" يقول: "قد يكون الآتي من فَعَل يفعَل إذا كانت لامه أو عينه حرف حلق، وليس هذا الموضع كليا، فقد يجيء بعض ذلك على الأصل، وذلك كثير". وبعد أن يسوق "ابن سيده" طائفة مما جاء مضموما، وحقه الفتح، أو ما جاء فيه الاشتراك، قال: "ولعله قد حكى غير هذا، فإن المجيء على القياس والأصول لا يحاط به، وإنما يحصر النادر من هذا الضرب".

٦- ولنا بعد هذا الذي أسلفناه، من أقوال فقهاء اللغة وصيارفتها، وما هدى إليه الإحصاء والاستقصاء لألفاظها، أن نأنس برفع الحرج عن عين مضارع فعل المفتوح العين، على النحو الآتي:

باب فعَل المفتوح العين يجوز في مضارعه ضم العين وكسرها، باستثناء:

أ- ما شاع بين المتكلمين، فلا يكادون يخطئون في ضبطه، مثل: يضرب ويقتل ، فيبقى على الوجه الشائع.

ب- ما اشتهر من ألفاظ حلقية العين أو اللام، فيؤثر فيها الفتح المشهور، كيسبح وينجح.

ج- ما كان واوي العين أو اللام كقال ودعا، أو كان لمعنى التغلب مثل خصمته أخصمه، فقياسه الضم. وما كان واوي الفاء كوعد أو يائي العين أو اللام، كباع ورمى، فقياسه الكسر.

ويلاحظ أن الخطب في هذه المستثنيات هين، إذ أن مُدرَكَها مألوف قريب.

صيغة قرار ضبط عين مضارع فعل المفتوح العين

تدارست اللجنة ما قدم في الموضوع من مذكرات وما عرض عليها من مقترحات، ورأت أن جمهرة من اللغويين والنحاة كأبي زيد والمبرد وثعلب وابن درستويه وأبي على الفارسي وغيرهم يقولون بجواز ضم مضارع فعل وكسره فيما لم يشتهر من الأفعال، ويستأنس في الجواز بأن الكسر والضم يتعاقبان في الفعل الواحد كثيرا، ولهذا تقترح اللجنة ما يأتي:

يجوز في مضارع فعل المفتوح العين ضم عينه وكسرها باستثناء:

أ- ما شاع بين المتكلمين، فلا يكادون يخطئون فيه مثل: يضرب ويقتل، فيبقى على الوجه الشائع.

ب- ما اشتهر من ألفاظ حلقية العين أو اللام بالفتح فيؤثر فيها الفتح المشهورمثل: فتح يفتح وسبح يسبح ووضع يضع ورأى يرى ونأى ينأى.

ج- ما كان واوي العين أو اللام كقال ودعا والمضاعف كمد، وما كان لمعنى التغليب مثل خصمته أخصمه، فالباب فيه الضم.

د- ما كان واوي الفاء كوعد أو يائي العين أو اللام، كباع ورمى، والمضاعف اللازم مثل: حن فالباب فيه الكسر.

وترى اللجنة:

أولا: ألا يتبع ذلك في تحرير المعاجم .

ثانيا: ألا يرخص في استعمالها للمتكلم العادي إلا حين لا يكون هناك نص صريح على باب الفعل الذي نريد أن نترخص في ضبطه.